المبحث الثاني

الديانات الوثنية

من الانحراف إلى التأسيس

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

« من الانحراف إلى التأسيس » ، تصوّر فلسفي للديانات الوثنية ، يرتبط بتحوّل تاريخي طال جوهر بنية العقيدة وملامح التديّن الوضعي. إذ ينتمي التديّن الإنساني في تصوّرنا إلى أصول تاريخية قديمة مشتركة ، انتهت نتيجة لتراخي الزمن وتباعد الجغرافيا إلى تأمّلات فردية غلب عليها الطّابع الاجتهادي ، المرتبط برياضة النّفس وتنقية الرّوح من شوائب الجسد ، وتخليصها من أسر المادة ، طلبا لتحقيق التواصل مع جذور الإيمان الأوّل. وكثيرا ما يكرّر على الطلاّب نفس التساؤلات ونحن ندرس أديان الهند والصين: أيّ فرق بين توجيهات الإسلام وقيمه وبين وصايا الهندوسية والبوذية؟. فكلّ منها يمجّد الخير ويأمر به ويذمّ الشرّ وينهى عنه.

وبما أنّ الله سبحانه وتعالى لم يكتب على عباده إلاّ دينا واحدا ، فصّل لهم أصوله ومبادئه ، وبيّن لهم كيفية التعبّد والطرق التي تحقّق مرضاته ، فإنّ خلاف ذلك هو نتيجة للانحراف عن خطّ رسالة الأنبياء وصورة من صور الوثنية. وفي نظرنا أنّ الإنسانية إنّما انتشرت في الأرض منطلقة من نقطة جغرافية واحدة وهي المنشأ الأم ، حاملة معها مبادئ الإيمان التوحيدية وأصول التديّن الحق ، إلاّ أنّها بعامل التباعد التاريخي والانقطاع الجغرافي انفصلت عن مصدر الوحي ومنبعه ، وبقيت تتفاعل مع تلك المبادئ الأولى وَفِيَّةً للتوحيد المطلق ، ولكنّها لم تصمد طويلا تحت مؤثّرات العزلة وانعدام شعاع الوحي ونوره الذي يجدّد فيها الدّين ويحفظها من الزيغ والانحراف ، فحلّ محلّ خبر السماء وتوجيهات النبوّة الاجتهاد البشري والتأسيس الإنساني.

ومن الطبيعي أن يتأثّر المجتمع بالخيِّرين فيه ويحفظ لهم ذكرى طيّبة ، ويتوارث خلقهم وخصالهم الرّفيعة ، من باب الوفاء تارة ومن باب التسليم بما أمروا به تارة أخرى ، وبمرور الزّمن وتعاقب الأجيال وتعمّق القطيعة مع الوحي الإلهي ، ارتقت تلك المبادئ الموروثة والخصائص الأخلاقية إلى مرتبة المقدّس فأصبحت دينا قائما بذاته ، في أصوله الاعتقادية وفلسفته الوجودية من حيث تصوّره للإله ورؤيته للكون والإنسان والحياة. وقد عبّروا عن ذلك كلّه بلغتهم المحلية حينا وبهجين اللّغات الإنسانية المجاورة أحيانا أخرى ، وهو ما نلاحظه من خلال دراستنا للبرهمية والسيخية والبوذية والكنفوشيوسية ، وغيرها من الديانات الوثنية. وذلك ما يفسّر تساؤلات الطلاّب تلك ، ويزيل عن تصوّراتهم ذلك التداخل الخطير ، بل إنّ ذلك الإيمان المشوّه عند أصحاب تلك الديانات الوثنية يجعلهم أكثر النّاس استعدادا لتقبّل للدّين الإسلامي ، وذلك لما يختمر في وعيهم من أسئلة ملحّة يبحثون لها عن إجابة مقنعة.

والدّارس لتاريخ الإسلام بالهند والصين وكلّ بلاد جنوب شرق آسيا ووسطها ، يقف على حقيقة مفادها أنّ دعوة الإسلام وجدت صداها في أفئدة السكّان المحلّيين من الوهلة الأولى عند مقدم أوائل المسلمين إلى تلك المناطق القصية من العالم. فانتشر سِلما تحت تأثير الخلق الطيّب من الأمانة وحسن المعاشرة ، ولما أبداه المسلمون من صور التآخي التراحم والتلاحم فيما بينهم. ممّا حرّك في وجدان هؤلاء السكّان تلك المبادئ ا اسبة في اللاّوعي ، وعرضوها على محكّ ذلك الوحي الجديد الذي بشّر به الإسلام ، وحمله هؤلاء التجّار الدعاة إلى تلك الأصقاع. فهو تذكّر بعد نسيان ، وإحياء للإيمان من جديد .

الديانة البرهمية

تعريف :

ظهرت هذه الطائفة بالهند وتنسب إلى « براهما » أي اسم الله في اللّغة السنسكريتية القديمة ، وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته ، لا تدركه الحواس ، وإنّما يدرك بالعقل. خالق الكون ، لا حدّ له. جاء في « الفيدا » ذكر الإله (برهما سباتي) ، وتعداد لصفاته: « ربّ الصلاة ، مجيب الدعاء ، المتصرّف في ملكوته السماوي والأرضي إله الحق » ، فالله بذلك عند قدماء البراهمة واحد لا شريك له ، سرى منه الرّوح في جميع الكائنات من جماد ونبات وحيوان ، وقد ورد في الفيدا ما نصّه: « أنّ الله نور الشمس ، ضوء القمر ، بريق اللّهيب ، وميض البرق ، صوت الرّيح ، أنا الأصل القديم لجميع الكائنات ، منّي الحياة لكلّ الوجود ، معطي الصّلاح ، أوّل ، آخر ، حياة ، موت ، لكلّ مخلوق حي... » .

تركيبة التسمية :

وتعرف الديانة بالهندوكية ، وقد جاءت التسمية من نهر السند الذي يمرّ بين الهند والباكسان ، وقد تجذّر هذا المعتقد في تصور فلسفي للحياة تشمل نسقا أخلاقيا خاصا وهو دين نتيجة لتراث متراكم من الأفكار والعقائد التي تتلخص في أن هناك ثلاثة رموز كبرى تتعايش في ثالوث واحد هم: براهما وفيشنو وشيفا (وقد اعتبر بعض الباحثين أنّها أصل ثالوثية التأليه).

أ ـ براهما: يمثّل التوازن لعالمنا وله أربع صفات هي الصدفة والاسطوانة والدبوس واللوتس وهو موجود في كل مكان من الأرض. وقد وضعوا له صنما

له أربعة أوجه وأربع أيد ، يحمل بالأولى الكتاب المقدّس « الفيدا » ، وبالثانية ملعقة ، وبالثالثة سبحة ، وبالرّابعة إناء فيه ماء. وتنسب لبراهما عملية الخلق وذلك من خلال اتحاده مع « أتمان » الذي هو جوهر الوجود كما جاء في أسفار اليوبانشاد: « إنّ جوهر النفس ليس هو الجسم ولا العقل ولا الذات الفردية ، ولكنه الوجود العميق الصامت الذي لا صورة له ، والكامن في دخيلة أنفسنا » . وبناء على هذا الفهم فإنّ أتمان وبراهما ما هما إلاّ حقيقة واحدة ، هما أساس العقيدة بالوحدة المثالية ، أي وحدة الوجود ووحدة الإله ، وهما معا القوة الروحانية المسيطرة على هذا العالم[1].

ب ـ فيشنو: إله الحب ، الذي كثيرا ما ينقلب إنسانا يقدّم العون للبشر ، وأعظم ما يتجسّد فيه فشنو هو شخصة « كرشنا » ، وهو ابن الإله « براهما » ، وله أربع أيد ، في الأولى بوق من الصدف ، وفي الثانية حلقة تخرج منها نار ، وفي الثّالثة هراوة ، وفي الرّابعة غصن من الزهر. وزوجته هي « لاكشمي » .

جـ ـ سيفا: يمثّل رمز النشاط المتدفق الذي يدمر العالم ثم يعيد بناءه بالتناوب ؛ ولذا لا تعد الفيضانات المدمرة والأمطار الغزيرة التي تحدث في هذه الأرض العظيمة قضية غريبة عن صياغة سيفا وإرادته التي تخرب وتعمر بعد ذلك. وصنمه له أربع أيد ، في الأولى صولجان ، وفي الثانية حبل لشدّ المذنبين ، والثالثة والرّابعة خاليتان ، وله في جبهته عين ثالثة ، وفي عنقه قلادة من رؤوس البشر. وزوجته هي الإلهة كالي .

تمتزج في الهندوكية الفلسفة بالدين امتزاجا كاملا ، فالموت هو حياة. والموت في

(١) سليمان مظهر : قصة الديانات ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، طبعة ٢٠٠٢ ، ص٨٢ (بتصرف) .

نص الأسطورة الدينية الهندوكية (الباجادفاد ـ جيتا) هو خلع الروح للجسد القديم وارتداؤها جسدا جديدا حيث تتحرر النفس من ردائها القديم ، وفق العقيدة الهندوكية ، لتبدأ رحلة أخرى في جسد آخر. ففي أول الأمر يحكم على الروح بأن ترسل إلى الفردوس أو إلى جهنم لتقضي هنا أو هناك فترة من الوقت حسب خيرها أو شرها ثم تعود الروح (النفس) إلى الأرض لتبدأ حياة جديدة وبشكل متدرّج. حيث تتجسد أوّلا في الصخر ثم في النبات ثم تدخل مرحلة الحيوان للتعايش في إهابه. وهذا ما يفسر الاحترام الكبير الذي يوليه الهندوس لآلاف الأبقار التي تتجول في القرى والمدن دون أن يزعجها أحد ، كما كان سببا في النزاعات المستمرة بين المسلمين والهندوس والتي كانت بريطانيا أيام استعمارها للهند تؤججها في صراعات مستمرة بسبب اختلاف طبيعة النظرة إلى هذا الحيوان ، وهي نظرة لا تزال مستمرة. والمهم هنا أن النفس عندما تسأم من التجسد في الحيوان تصل إلى شكلها النهائي وهو الإنسان وهذه هي الخطوة الأخيرة التي تسمو بالإنسان إلى أعلى المراتب.

ويصنّف النظام الديني الهندوكي النّاس طوائف عِدّة ، برغم أن هذا النظام قد ألغي قانونيا منذ عام ١٩٤٩ ، إلا أنه ظل عمليا ممارسة اجتماعية محرمة لا سبيل إلى خرقها دينيا واجتماعيا عدا استثناءات قليلة. وبحسب تلك التعاليم فإن الإنسان في هذا الكون محدد الطائفة منذ ولادته. والذي حدث أنّ طوائف المجتمع بحسب اعتقادهم قد جاءت من « مانو » أوّل بشر خلقه « براهما » روح العالم أو الرّوح الأعلى. فمن رأسه جاءت الطائفة الأولى وهم الكهنة البراهمة ، وهي طائفة مقدسة بين أيديها القدرة المقدسة ، وتنحصر وظيفتها في التعليم

الديني ، وينبغي أن يتناسى البراهمة أنفسهم تماما من أجل خير الآخرين. ومن ذراعه جاءت طائفة الكشاترية وهي طبقة الملوك والمحاربين التي تحمي البشر من الشرور وتعالج المظالم ولها احترامها الخاص. ومن فخذيه جاءت طائفة الفشياس ، وهم أرباب العمل من التجّار والمزارعين ، ممّن يوفّرون مسائل العيش للكهان والملوك والمحاربين. ومن قدَمَيْ « مانو » ، ولدت طبقة الشودراس ، ومهمّتهم خدمة الطوائف الثلاث السابقة في أخس حاجاتها.

وقد طرحت هذه الوضعية سؤالا جوهريا مفاده: أما من سبيل لإنسان من طبقة دنيا بلغ درجات عليا من الصلاح والاستقامة والمعرفة أن يرتقي في سُلّم الطبقات ، فيزحزح عن الطبقة السفلى إلى التي أرفع منها؟ ، فكان جواب الكهنة: أنّ الإنسان الذي ولد في طائفة معيّنة لا يمكنه مغادرتها إلى غيرها لتحصيل امتيازاتها ، وأنّ أقصى ما يصيبه صاحب ذلك الصلاح والمعرفة هو حسن الجزاء في الحياة الأخرى. وصورة ذلك أنّ الإنسان عندما يموت تخرج روحه من جسده وتدخل على الفور جسد طفل ولد لتوّه. فإذا كان ذلك الإنسان ممّن يحيون حياة طيّبة صالحة ولد في طائفة أعلى ، وإن كان حاله عكس ذلك ولد في طائفة أدنى ، فإن هو استمرّ في تلك الحالة من الحياة السيّئة ينتهي في تكرار المولد إلى فيل ثم كلب ثم برغوثا أو بعوضة. وذلك تبعا لقانون الحياة الذي يعتقده الهندوس.

العقائد:

تقوم عقائد الهندوس على أصلين رئيسين هما: وحدة الوجود والتناسخ. ولا يمكن فهم تكرار المولد والنجاة والحلول والفناء إلاّ في ضوء ذلك المعتقد ، ويمكن تفصيل جوهر معتقدهم في المبادئ التالية:

ـ الكارما : وهي قانون الجزاء: « جزاء الخير خير مثله ، وعقاب الشر شر مثله » ، وتحاول فلسفة اليوجا[١] تقريب موضوع الكارما إلى الأذهان ، فالحياة تكون سارّة أو غير سارة تبعا لما قدّم الإنسان من أعمال.

ـ تناسخ الأرواح : أو تكرار المولد ، وهو رجوع الرّوح بعد خروجها من الجسم إلى العالم الأرضي في جسم جديد ، وسبب التناسخ أنّ الرّوح خرجت من الجسم وما زال لها شهوات مرتبطة بالعالم المادي ، أو ديون لا بدّ من أدائها ، وإذا اكتمل ذلك ، فلم يرتكب الإنسان إثما ، ولم يقم بحسنة يثاب عليها ، نجت روحه من تكرار المولد ، وامتزجت بالبراهما.

ـ الانطلاق : إذ هدف الحياة الأسمى هو التخلّص من دورات الوجود ، والامتزاج ببراهما . إذ إنّ أرواح الكائنات تأتي من براهما روح العالم ، وعندما تنتهي الروح من دورة الحياة تعود إلى روح العالم وتتحد مع براهما ، وهي لحظة النرفانا ، تلك السعادة العظمى التي تتمنّاها الرّوح . وممّا يؤخذ على هذا المبدأ أنّه جعل التصوّف والزّهد والسلبية أفضل من الأعمال الصّالحة ، فهي طريق

(١) اليوجا كلمة سنسكريتية معناها (الربط معا) أو (الاتحاد) وهي قاعدة الخلاص الذي يتطلع إليه الهندوسي الذي لا يمكن له أن يحصل عليه وعلى سكينة الروح إلا إذا انفصل عن العالم اليوجي. ولا تتميز اليوجا بجانبها العملي بل ببنائها التعليمي فهي لا تمارس على انفراد وفق حركات يصطنعها الإنسان متأملا وحيدا فلابد من الخضوع إلى (الغورو) وهو الأستاذ الذي يلقن التابع الجديد دروس اليوجا تدريجيا بحيث يصل به الكمال في الحركة أو في السكينة الشاملة حيث تتحرر الروح من أدران الدنيا. و(الغورو) أو الغوريين هم حفظة أسرار الماضي وبواسطتهم وبتعليمهم لليوجا تضعف روح العدوان عند البشر حيث تقوم اليوجا بتهذيب النفس عبر تمريناتها الشاقة ليزداد حراس الخير والسلام في هذه الأرض وتسود دعوة اللاّعنف بين البشر، تلك الدعوة التي استلها غاندي (الروح العظيم) من بين فكر الديانة الهندوكية ونادى بها ومارسها كسياسة تدعو إلى استقلال الهند الذي تحقق عام ١٩٤٧.

« الاتّحاد بالله » ، أمّا العمل الصّالح فيجازى عليه الإنسان بتكرار المولد والترقي في طبقات نظام مانو.

ـ وحدة الوجود : تعتبر الحياة كلّها مظاهر لتلك القوّة الوحيدة الأصيلة « براهما » ، فالجبال والبحار والأنهار تتفجّر من تلك الرّوح المحيطة المستقرّة في الأشياء ، وليس الرّوح الإنسانيّة إلاّ جزءا من الرّوح الإلهية .

ومن معتقداتهم تقديس البقرة ، وتحريم ذبحها ، وقد جعلوا لها التماثيل في المعابد والمنازل والميادين ، فهي تتمتّع بحرية مطلقة في التنقّل وتعطيل حركة المرور. ولا يجوز للهندوسي أكل لحمها أو استغلال جلدها في أي صناعة من الصناعات ، وإذا ماتت وجب دفنها وفق طقوس معيّنة وصارمة. كما يقدّسون القردة والتماسيح والأفاعي وأشهرها أخطرها وتسمى « ناجا » ، ويقدّسون نهر الغانج ، إلى جانب حرق الموتى ، وحرق الزوجة نفسها مع زوجها الميّت.

التعاليم :

تنظّم تعاليم الديانة البرهمية في ما يعرف بالوصايا العشرة:

ـ الكائن الإلهي .

ـ كبح جماح النّفس .

ـ مقابلة الإساءة بالإحسان .

ـ معرفة الفيدا .

ـ القناعة .

ـ اجتناب الغضب .

ـ الاستقامة .

ـ الصبر .

ـ الطهارة .

ـ الصدق .

إلاّ أنّه ما لبثت أن انحدرت الديانة الهندية عندما كثر الكهنة ، الذين جعلوا للديانة أسرارا خفية وأسرارا ظاهرة ، فكثرت الرموز والطقوس والشعائر ، ومن هنا نشأ ما لم يكن أصلا في الديانة البرهمية ، فنشأ الثالوث الهندي المعروف « برهما ، فشنو ، سيفا » ، برهما من حيث هو موجود ، وفشنو من حيث هو حافظ ، وسيفا من حيث هو مهلك. وبذلك أصبحت الهندوسية ديانة تعدّد ، وعلى أساسه يفسّر القول بأنّها ديانة توحيد ، إلاّ أنّ التعدّد طارئ ، وبذلك فتح الكهنة الهنود الباب للنصارى فيما يسمّى: تثليث في وحدة ووحدة في تثليث. والذي أدى بالهندوس إلى هذا التعدّد هو اعتمادهم على عناصر الطبيعة في وصفهم للآلهة التي يعبدونها ، فجعلو :

ـ السماء أبا وسموه « فارونا » .

ـ الأرض أما وسموها « برينيفي » .

ـ المطر هو الإله « بارجانيا » .

ـ النار هي « أجني » .

ـ الريح هي « فايو » .

ـ العاصفة هي « أندرا » .

ـ الفجر هو « أوشاس » .

ـ مجرى الممرّات في الحقل هو « سيتا » .

ـ الشمس هي « سوربا » أو « مترا » أو « فشنو » ، ثم أصبحت « سافيتار » وضوؤها إله مستقل بذاته وهو « فيفاسفات » ، ثم أصبحت الشمس التي تولد الحي من الحي إلها جديدا هو « براجاباتي » أي: ربّ كلّ الأحياء .

ـ النبات المقدس الذي يسكر كل الناس وكل الآلهة هو الإله « سوما » .

*****

obeikandl.com

الديانة البوذية

التعريف :

هي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية ، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان ، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات يغلب عليها طابع الوثنية ، ولقد غالى أتباعها في مؤسّسها حتى ألّهوه. لذلك يميل البعض إلى أنّ البوذية نظاماً أخلاقياً ومذهباً فكرياً مبنياً على نظريات فلسفية ، وتعاليمها ليست وحياً ، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني. وتختلف البوذية القديمة عن البوذية الجديدة في أن الأولى صبغتها أخلاقية في حين أن البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطة بآراء فلسفية وقياسية عقلية عن الكون والحياة.

وتعتبر البوذية ردّة فعل على النظام الطبقي الهندوسي ، الذي أحدثه الكهنة بقصد إبقاء الشعب الهندي على حال من الجهل والغفلة ، لإحكام القبضة عليه ، فانتهى إلى الانحطاط الديني والقيمي ، فعكف على عبادة الأشخاص والتماثيل والحيوانات ، ممّا دفع « سيدهاتا جوتاما » إلى الإصلاح. فقد استمرّ منقطعا إلى حياة التأمّل والتّفكير والبحث عن الحقيقة ، حتى وصل إلى ما تصوّره « المعرفة اليقينية » حين قال:« أخيرا وجدت مفتاح الحكمة ، أنّه أوّل قانون للحياة: من

الخير يجب أن يأتي الخير ومن الشرّ يجب أن يأتي الشر » . وأصبحت تلك اللّيلة التي بلغ فيها مرتبة « البوذا » أي « المستنير » تسمّى عند أتباعه « اللّيلة المقدّسة » ، والشجرة التي جلس تحتها طوال تلك اللّيلة تسمّى شجرة « بو » أي شجرة الحكمة .

وتجدر الإشارة إلى أنّ البوذية ليست في نفسها ديانة سماوية أو دينا وضعيا ، ولكنّها مذهب فلسفي متولّد عن الديانة البرهمية مع فروق بسيطة. والذي لا يمكن إنكاره كذلك هو أنّ « بوذا » لم يدعو نفسه يوما إلها ، ولكن مبالغة أتباعه من بعده هي التي جعلت منه إلها ، ومن مذهبه الإصلاحي دينا.

لذلك حرص أتباع البوذية على إضفاء هالة من القداسة على سيرته منذ أن حملت به أمّه إلى لحظة وضعه ، بل صبغوا بذلك كلّ تفاصيل حياته ومماته. ومن ذلك تصوير حالة المخاض ورمزية المكان الذي وضع فيه ، فقد جاء في قصصهم:« ...وتحت الشجرة الوارفة الظلال جلست الملكة القرفصاء ، بعد أن حجبها الخدم عن الأنظار بستار خاص ، ولمّا أرادت النهوض مدّت يدها إلى غصن الشجرة فانحنى من تلقاء نفسه حتى قارب كفها ، ولم تكد تنهض حتى كان تحتها طفل تلقفته أيدي أربعة من البراهمة في شبكة نسجت خيوطها من أسلاك الذهب...ووقف الولد فجأة ، وتقدّم إلى الأمام سبع خطوات ، ثمّ صاح في صوت عذب: أنا سيّد هذا العالم..وهذه الحياة هي آخر حياة لي.

وفي نفس اللّحظة ظهرت اثنتان وثلاثون علامة في السماء والأرض ، فحدث زلزال شديد ، وانتشر النّور في كلّ مكان ، وسقط مطر خفيف على غير ميعاد ، وتفتّحت براعم الزهور وأكمام الثمار ، وانتشرت ريح ذكية طيّبة عمّت كلّ

الأرجاء ، واستعاد الأعمى البصر ، واستردّ الأصم السّمع ، وعاد الأبكم ينطق ويغنّي » ، وبذلك تحقّقت رؤية والدته الملكة « مايا » ، التي رأت في منامها « بينما هي مستلقية على الفراش إذ بأربعة من الملائكة في ثياب بيض يتقدّمون منها ويحملونها بكلّ محتويات حجرة نومها ، ويطيرون بها إلى أعلى قمّة في جبال الهيمالايا حيث تقوم شجرة باسقة خضراء ، ويضعونها تحت ظلّها ، ولا تكاد الملكة تطلّ حولها حتى تقترب منها أربع ملكات يدخلنها الحمّام ويلبسنها ثيابا جميلة ويعطّرنها بعطور رائعة الرّائحة ، ثمّ يحملنها إلى منزل آخر مصنوع كلّه من الفضّة ، وتضعها الملكات على فراش آخر مقدّس ، وهناك يهبط فيل أبيض من فوق جبل ذهبي ويتقدّم منها ، وفي خرطومه غصن من نبات البشنين ، ويدور الفيل حول الفراش دورات ثلاثا ، ثمّ يمسّ جانب الملكة الأيمن ويدخل في رحمها.

وقد أوّل الحكماء ذلك بأحد مسألتين عند مخاطبتهم والد « بوذا » الملك « سودهوادانا » : لا يشغلنّ بالك شيء أيّها الملك السعيد ولكن أبشر ، فالملكة قد حملت بغلام سيصبح ملكا على كلّ البلاد لو هو استقرّ في بيته ، أمّا إذا كانت الثّانية وغادر داره هائما على وجهه في الأرض ، فعندئذ سيصبح هو البوذا ، كاشف نقاب الجهل عن وجه هذا العالم » ، ثمّ أكدّ قولهم الرّاهب « أسيتا » مهنّئا الملك بالمولود الجديد: « هنيئا أيّها الملك ، إنّ هذا المولود لم تجئ بمثله امرأة من قبله ، ولن تجيء بمثله امرأة بعد...هذا الطّفل أيّها الملك سيصل إلى درجة التنوير السامية ، سيدخل النرفانا ، ويهدي العالم إلى طريق الحق والصواب[1] .

(١) سليمان مظهر: قصّة الديانات، ص ١٠١.

العقائد :

تلتقي الهندوسية والبوذية والجينية في كثير من العقائد ، لاعتبارها متولّدة من بعض أو متفرّعة عن أصل كبير ، إلاّ أنّ في البوذية تفصيلا أكثر في معتقد النرفانا Nirvana الذي يقابله الانطلاق عند الهندوس ، فقد كان مفهومه عند بوذا الاندماج في الله والفناء فيه ، وعند تخلّيه عن فكرة الإله ، أخذت النرفانا أحد معنيين:

أ ـ وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الرّوحاني ، بتطهير نفسه والقضاء على رغباته المادية ، فيصل النرفانا وهو حيّ.

ب ـ إنقاذ الإنسان نفسه من تكرار المولد ، بالقضاء على الرغبات والتوقّف عن عمل الخير والشرّ ، وهنا ترتبط النرفانا بالموت.

التعاليم :

تعبر أفكار بوذا ثورة حقيقية على الوثنية الهندوسية ، القائمة أساسا على عبادة الأصنام وتقديسها وتقديم القرابين لها. وهو ما يفسّر المعارضة الشديدة والصدّ الذي وجده من بعض النّاس ، بل الحيرة التي أبداها بقية الرّهبان وبعض معلّميهم ، ممّن أفنى عمره في دراسة « الفيدا » ، والقائمة أساسا على تعظيم الأصنام وعبادتها ، فهو يرى أنّه لا سلطان للأصنام على تغيير شيء في هذا العالم ، فلماذا يصلي لها النّاس ، وإذا كان العمل الصالح يأتي بالخير والعمل السيئ نتيجته الشر ، فإنّ هذه الآلهة لا تستطيع تعديل هذا القانون أو تغيير هذه النتائج ، وبالنتيجة فإنّ عبادة الأصنام خطأ وحمق ، وإذا كانت كتب « الفيدا » تأمر النّاس

بالصّلاة وتقديم القرابين وعبادة الأصنام ، فهي ليست مقدّسة ؛ لأنّ الكتب المقدّسة لا تعلّم النّاس الوثنية والخرافة.

فكان ذلك بداية الافتراق بين بوذا والمواريث الهندوسية المنحرفة. فالفيدا التي تعلّم النّاس بأنّ بارهما هو من خلق النّاس طوائف ، وقعت في الخطأ والانحراف ، إذ هذا مناقض للقانون الأوّل للحياة ، فالنّاس ينقسمون فقط إلى فئتين: فريق صالح وفريق شرير ، ولا تأثير للأسرة التي يولد فيها الإنسان . كما كان « بوذا » يوجّه أتباعه إلى أنّه هناك طريقان يجب الابتعاد عنهما ، أحدهما حياة المتعة وهي حياة أنانية دنيئة ، والآخر حياة تعذيب النّفس وهي الأخرى غير جديرة بأن يحياها المرء ، فهما لا يؤديان إلى الحياة الصالحة. بل يتعيّن على المؤمن الزّاهد أن يسلك الطريق الأوسط.

وتتلخّص أهمّ التعاليم البوذية في:

ـ لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسوّل الفقير.

ـ يدعو بوذا إلى سلوك العمر الأوسط بين التلذّذ والزّهد الخالص في الدنيا.

ـ العمر الأوسط ثماني شعب:

أ ـ الإيمان الصحيح: في أنّ الصدق هو دليل الإنسان.

ب ـ العزم الصحيح: أن يكون الإنسان دائم الهدوء في سائر الأوقات ولا يؤذي أي مخلوق حيّ.

جـ ـ القول الصحيح: بالبعد عن الكذب والنميمة وعدم استخدام اللّفظ الخشن.

د ـ السلوك الصحيح: أن لا يسرق ولا يقتل ولا يفعل ما يندم عليه أو يخجل منه.

هـ ـ العمل الصحيح: أن لا يختار عملا يعتبر رديئا.

و ـ الجهد الصحيح: أن يجاهد من أجل الخير، ويتجنّب الشر.

ز ـ التفكير الصحيح: بالحقائق النبيلة في هدوء وحسن تمييز.

حـ ـ الوعي الصحيح: القائم على معرفة الذات والسيطرة على المشاعر والأفكار.

ويضع بوذا للحقيقة أركان أربعة:

أ ـ الرغبة غير المدركة تؤلم.

ب ـ لاستئصال الألم يجب نبذ الرّغبة.

جـ ـ الشهوة أصل الألم.

د ـ لأجل منع الألم يقتضي اتّباع العمر الأوسط.

وتنسب إلى بوذا ما يُعرف بالوصايا العشرة التالية:

ـ يجب ألاّ تقضي على حياة.

ـ يجب ألاّ تأخذ ما لا يعطى إليك.

ـ يجب ألاّ تقول ما هو غير صحيح.

ـ يجب ألاّ تستعمل شرابا مسكرا.

ـ يجب ألاّ تباشر علاقة جنسية محرّمة .

ـ يجب ألاّ تأكل في اللّيل طعاما نضج في غير أوانه .

ـ يجب ألاّ تكلّل رأسك بالزّهر وألاّ تستعمل العطور .

ـ يجب ألاّ تقتني المقاعد والمساند الفخمة .

ـ يجب ألاّ تحظر حفلة رقص أو غناء .

ـ يجب ألاّ تقتني ذهبا أو فضّة[1] .

بعد وفاة « بوذا » وبتراخي الزّمن ، بدأت الكثير من مبادئه وأسسه الفكرية الأخلاقية في اضمحلال ، ونسي أتباعه أنّ فكرته عن الدين كانت خلقية خالصة ، وأنّ الذي يعنيه هو سلوك النّاس ، أمّا الطقوس وشعائر العبادة والتماثيل واللاّهوت فلا يهتمّ بها كثيرا ولا تعنيه. والملاحظ أنّ الذي انتقده « بوذا » في بداية رحلته المعرفية قد وقع فيه أتباعه بعد حين من الزّمن ، فقد أصبح للبوذية كهنة يجهلون حقيقة التعاليم الكبرى التي وضعها المؤسّس الأوّل ، والتي أصبحت بعد ذلك محلّ خلاف بين الرّهبان ، فما الذي كان يقصده بوذا وما الذي لم يكن يعنيه؟. ونتيجة لذلك وجدت الكثير من تعاليم الديانات الأخرى الفرصة للتسرّب إلى البوذية وبعثرة بنائها العقائدي الدّاخلي. وقد حاولوا في مؤتمر مدينة فيسالي الإجابة عن الإشكالات التي عمّقت هوّة الخلاف بينهم ، وهي:

ـ هل مسموح لأتباع العقيدة أن يحفظوا الملح في إناء من دون بقية المأكولات؟

(١) أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة ٢ / ١٩٦٦، منقّحة ومزيدة، ص ١٦٣ (بتصرّف).

ـ هل مسموح للبوذي أن يتناول وجبته اليومية عندما يكون عرض ظل الشمس حوالي أصبعين؟

ـ هل يجوز للمؤمن أن يتناول أكثر من وجبة واحدة من الطعام في اليوم؟

ـ هل يجوز عقد اجتماعات دورية متعدّدة داخل منطقة واحدة؟

ـ هل يجوز عقد اجتماعات لتقرير أمر يخصّ الجماعة دون استكمال عدد الأعضاء؟

ـ هل يجوز للطّالب أو المريد أن يحاكي مرشده في عاداته وسلوكه ويقلّده في مختلف أفعاله ، معتقدا أنّ هذه المحاكاة يمكن أن يجعله يختصر عدد الولادات المستقبلة وتقرّبه من بلوغ النرفانا؟

ـ هل يكون آثما من تناول اللّبن في التخمّر دون أن يخض؟

ـ هل يجوز شرب السوائل الآخذة في التخمّر؟

ـ هل يأثم من يجلس على قطعة من القماش المزركش أو المذهّب؟

ـ هل يجوز للمؤمن امتلاك الذّهب والفضّة؟[1].

إلاّ أنّ ذلك لم يشفع للبوذية ، خاصّة مع تشجيع الديانات الأخرى لهذه الخلافات والانقسامات ، فلم يعد يوجد في الهند من أتباعها سوى عدد قليل ، فهاجرت شرقا إلى نيبال وتركستان الشرقية والصين واليابان ، وجنوبا إلى بورما وسيام وسيلان ، متّخذة ألوانا شتّى من المذاهب والجماعات. إلاّ أنّه منهجيا وبحسب درجات الوفاء إلى أصول فلسفة « بوذا » ينقسم البوذيون إلى قسمين:

(١) سليمان مظهر: قصة الديانات ص ١٣٩ وما بعدها.

ـ **القسم الأوّل** : البوذيون المتدينون: وهؤلاء يأخذون بكل تعاليم بوذا وتوصياته .

ـ **القسم الثاني** : البوذيون المدنيون: هؤلاء يقتصرون على بعض التعاليم والوصايا فقط .

وقد احتفظت البوذية ببعض صورها الأولي في منطقة جنوب آسيا وخاصة في سيلان وبورما ، أما في الشمال وعلى الأخص في الصين واليابان فقد ازدادت تعقيداً وانقسمت إلى مذهبين هما:

ـ **المذهب الأوّل** : مذهب ماهايانا (مذهب الشمال) ويدعو إلى تأليه بوذا وعبادته وترسم خطاه.

ـ **المذهب الثّاني** : مذهب هنايانا (مذهب الجنوب) وقد حافظ على تعاليم بوذا ، ويعتبر أتباع هذا المذهب أن بوذا هو المعلم الأخلاقي العظيم الذي بلغ أعلى درجة من الصفاء الروحي.

أمّا من حيث المرجعية الفكرية فإنّ « بوذا » لم يقل بتلقّيه خطابا عُلويا ولا هم يدعون ذلك ، ومجموع نصوص كتبهم هي جملة عبارات منسوبة إلى بوذا أو حكاية لأفعاله سجلها بعض أتباعه ، ونصوص تلك الكتب تختلف بسبب انقسام البوذيين ، فبوذيو الشمال اشتملت كتبهم على أوهام كثيرة تتعلق ببوذا أمّا كتب الجنوب فهي أبعد قليلاً عن الخرافات . وتعتمد جميع كتبهم على الآراء الفلسفية ومخاطبة الخيال وتختلف في الصين عنها في الهند ؛ لأنها تخضع لتغيرات الفلاسفة. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل : مجموعة قوانين البوذية ومسالكها .

القسم الثاني : مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا .

القسم الثالث : الكتاب الذي يحوي أصل المذهب والفكر التي نبع منها.

*****

obeikandl.com

الديانة السيخية

التعريف :

ترجع حركة السيخ إلى أصول حركة « فيسنافا باختي » التي بدأت بالظهور بين الهندوس في منطقة التاميل ، ووصلت إلى الشمال على يد رامانوجا (١٠٥٠ - ١١٣٧). والسيخ كلمة سنسكريتية تعني المريد أو التابع ، وهم جماعة دينية من الهنود ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي ، داعين إلى دين جديد يجمع بين الإسلام والهندوسية. وبرغم علاقاتهم الجيّدة بالمسلمين في بداية أمرهم إلاّ أنّ البريطانيين أسهموا في نشر أسباب العداء بينهم ، لذلك ناصب السيخ المسلمين العداء ، كما عادوا الهندوس بهدف الحصول على وطن لهم.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

يعتبر « كابر » من أهم الشخصيات السيخية ، وقد ولد من أبوين هندوسيين في « بنارس » ، إلاّ أنّه كان شديد النقد لديانة آبائه الهندوسية. ويعتبر « ناناكا » المؤسس الفعلي الذي ارتبط به اسم السيخية ويدعى غورو أي المعلم ، (١٤٦٩ ـ ١٥٣٨) في قرية ري بوي دي تلفندي التي تبعد ٤٠ ميلاً عن لاهور ، وممّا يروى عن نشأته أنّها كانت هندوسية تقليدية. ولمّا شبّ عمل محاسباً لزعيم أفغاني في سلطانبور ، وهناك تعرف على عائلة مسلمة كانت تخدم هذا الزعيم. وبتأثّره بها وتعرّفه على مبادئ الدين الإسلامي أخذ ينظم الأناشيد الدينية ، وبعد فترة بنى مقصفاً ليتناول فيه المسلمون والهندوس الطعام .

وقد درس علوم الدّين ، وزار العديد من البلاد الإسلامية ، خاصّة مكة والمدينة ، وتعلم الهندية والسنسكريتية والفارسية. وفي مرحلة لاحقة ادعى أنه رأى الرب حيث أمره بدعوة البشر ، وأثناء استحمامه في أحد الجداول اختفى ثلاثة أيام ظهر بعدها معلناً « لا هندوس ولا مسلمون » . وفي تلك المرحلة كان يدّعي حب الإسلام ، مشدوداً إلى تربيته وجذوره الهندوسية من ناحية أخرى ، ممّا دفعه لأن يعمل على التقريب بين الديانتين ثمّ ينشئ ديناً جديداً في القارة الهندية. ولا أرجّح ما ذهب إليه بعض الدارسين من أنّه كان مسلماً ثم ابتدع مذهبه هذا. وفي مرحلة متقدّمة من دعوته ، وبقصد التميّز عن المسلمين والهندوس ، أنشأ أوّل معبد للسيخ في كارتاربور « الباكستان » . وقبل وفاته عين أحد أتباعه خليفة له ، وقد دفن في بلدة « ديره باباناناك » من أعمال البنجاب الهندية ، وقد احتفظ له أتباعه بثوب مكتوب عليه سورة الفاتحة وبعض السور القصيرة من القرآن. خلفه من بعده عشرة معلمون آخرهم « غوبند سنغ » (١٦٧٥ـ ١٧٠٨) الذي أعلن انتهاء سلسلة المعلمين. وقد راجت دعوته في قبائل الجات والزط .

عقائد السيخ :

حاول مؤسّسو السيخية أن يجدوا رابطة عقدية بينهم وبين الإسلام من دون أن يفرّطوا في أصولهم الهندوكية ؛ لذلك جاءت عقائدهم وشريعتهم خليطا من التوحيد والوثنية. فهم:

أ ـ يدعون إلى التوحيد ونبذ الشرك والتشبيه والتمثيل ، وينهون عن عبادة الأصنام والتماثيل.

ب ـ يدعون الإله بعدّة أسماء منها واه غورو الجاب ، وأفضلها عند ناناك « الخالق الحق » ، وكل ما عداه وهم « مايا » .

جـ ـ لا يقرون عبادة الشمس والأنهار والأشجار التي يعبدها الهندوس ، كما لا يهتمون بالتطهر والحج إلى نهر الغانج ، وقد انفصلوا تدريجياً عن المجتمع الهندوسي حتى صارت لهم شخصية دينية متميزة.

د ـ المساواة بين جميع البشر ، وتحريم وأد البنات.

هـ ـ يبيحون شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، ويحرّمون أكل البقر مجاراة للهندوس.

و ـ يعرفون بحملة الكافات الخمس. وبرغم عدم ثبوت نسبتها إلى « ناناكا » المؤسّس ، ورجوعها على الأرجح إلى خليفته العاشر « غوبند سنغ » ، الذي حرّم التدخين على أتباعه ، فإنّ السيخ يسلّمون بها ويلتزمونها . وهي :

ـ كيس : ترك الشعر دون قصّ أو تهذيب من الولادة إلى الممات .

ـ كاخ : الخنجر الذي يحمله السيخي للدفاع عن النفس عند الضرورة .

ـ كارا : أن يلبس الرّجل سورا حديديا في معصمه ، دليلا على الدروشة واستذكارا لوحدانية الله .

ـ كريبان : أن يلبس سروالا قصيرا تحت سرواله رمزا للعفة .

ـ كانجا : المشط ، وذلك لتسريح شعورهم الكثيفة .

ز ـ يعتقدون بأن ترديد أسماء الإله « الناما » يطهر المرء من الذنوب ويقضي على مصادر الشر في النفوس. بالإضافة إلى هذا فإنّ إنشاد الأناشيد « كيرتا »

والتأمل بتوجيه من المعلم « غورو » يؤدي إلى الاتصال بالإله.

ح ـ يعتقدون بأن روح المعلّم إذا مات تنتقل منه إلى المعلم التالي له.

ط ـ يؤمنون بتكرار المولد والتناسخ ، وأنّ حياة الإنسان المستقبلية تتوقّف على حياته السابقة.

ي ـ لا بدّ من التزام توجيهات وتوصيات المعلّم حتى يضمن المريد الوصول إلى مرحلة الانطلاق .

الكتب المقدسة :

أ ـ كتاب آدي غرانت : هو الكتاب المقدّس الذي يعتبر أساس السلطة الروحية عند السيخ . وهو مجموعة أناشيد دينية ألفها المعلمون الخمسة الأوائل وتبلغ نحوا من ٦٠٠٠ نشيد ديني ، كما ضم إليها المعلم الأخير غوبند سنغ ١١٥ نشيداً نظمها أبوه « تيغ بهادور » كما تحتوي على أناشيد نظمها شيوخ من الخالصادال الباختا ، وبعض رجال الصوفية المسلمين من مثل ابن الفارض على وجه الخصوص وبعض شعراء بلاط غورو. وهذا الكتاب هو الكتاب المقدس الذي يعتبر أساس السلطة الروحية لديهم .

ب ـ كتاب كرانته صاحب: وقد كتب باللّغة الكورمكية.

السيخية : الدين والأيديولوجية :

تعرض السيخ لاضطهاد المغول الذين أعدموا اثنين من معلميهم ، وكان أشد المغول عليهم « نادر شاه » (١٧٣٨ ـ ١٨٣٩) ، الذي هاجمهم واقتفى أثرهم ، ممّا اضطرهم إلى اللجوء إلى الجبال والشعاب. وفي تلك الظروف قام « غوبند سنغ »

المعلّم العاشر بإنشاء منظمة « الباختا » أي خالصادال التي سمى رجالها « أسوداً » ونساءها « لبؤات » ، حتى صار هدف شباب السيخ أن يصبحوا مؤهلين لأن يكونوا من رجال الخالصادال ويطلعوا على تعاليمها. إذ الخالصادال هم مجموعة من الشباب الذين يرتبطون بنظام سلوكي ديني قاس ، حيث ينصرفون إلى الصلاة والقتال من أجل الحق والعدل الذي يؤمنون به ، ممتنعين عن المخدرات والمسكرات والتبغ والملاهي. ويعتبر « كتاب راحت ناما » مستودع أفكارهم وتقاليدهم. وبضعف المغول صاروا حكّاما للبنجاب حيث احتلوا لاهور عام ١٧٩٩م. وفي عام ١٨١٩م امتدت دولتهم إلى بلاد الباتان ، وقد وصلت إلى ممر خيبر في عهد « المهراجا رانجيت سنغ » (ت ١٨٣٩ م) متغلبين على الأفغان.

وبوصول الإنجليز إلى الهند حصلت بينهم وبين السيخ صدامات عنيفة ، تراجع على إثرها السيخ إلى نهر سوتلج ، واعتبروا ذلك حدوداً لدولتهم من الناحية الجنوبية الشرقية. ثم أجبرهم البريطانيون على دفع غرامة مالية كبيرة وتسليم جاموا وكشمير ، كما عينوا في لاهور مقيماً بريطانياً يدير مملكة السيخ ، حتى صاوا في وقت لاحق من الموالين للإنجليز والمخلصين للتاج البريطاني ، بل تحوّلوا إلى أداة طيّعة في أيدي الإنجليز يضطهدون بهم حركات التحرّر الوطني سنة ١٨٥٧م ، فحصلوا على امتيازات كبيرة جزاء تعاونهم ، فمنحوا أراضا زراعية ومكّنوهم من الماء عبر قنوات للرّي ، مما جعلهم في رخاء مادي يمتازون به عن جميع المقيمين في المنطقة.

وفي الحرب العالمية الأولى شكّل الهندوس أكثر من ٢٠٪ من الجيش الهندي البريطاني ، وفي مرحلة لاحقة وإثر تصادم مصالح النفوذ انضموا إلى حركة

غاندي مطالبين بالحرية. ومع الاستقلال ألغت الحكومة الهندية الامتيازات التي حصل عليها السيخ من الإنجليز مما دفعهم إلى المطالبة بولاية البنجاب وطناً لهم. وبتصاعد التوتّر بينهم وبين الحكومة الهندية واستعصائهم على الدولة، أمرت أنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند يومها في شهر يونيو ١٩٨٤ باقتحام المعبد الذهبي في «أمرتيسار» ممّا أدى إلى مقتل حوالي ١٥٠٠ شخص من السيخ وقرابة ٥٠٠ شخص من الجيش الهندي. وفي يوم ٣١ أكتوبر ١٩٨٤ اغتال السيخ أنديرا غاندي انتقاماً لاقتحام المعبد. وقد صعّد ذلك من حالة التوتّر التي راح ضحيتها قرابة خمسة آلاف شخص من السيخ. يتواجدون حاليا في البنجاب بنسبة ٨٥٪، وفي دلهي وماليزيا وشرق إفريقيا وانجلترا وكندا، ويقدّر عددهم بنحو ١٥ مليون نسمة[١].

*****

(١) انظر حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، ص ١١٩ وما بعدها.

الديانة الجينية

تلتقي الجينية مع البوذية في أنّهما ردّة فعل على التمييز الطبقي الذي مارسته البراهمة ، وقد ضجّ النّاس من استبدادهم وطغيانهم ، وتمنّوا ظهور قائد روحي جديد يخلّصهم من ذلك. وبما أنّ طبقة الكشتريا أكثر الطوائف تضرّرا وأشدّ إحساسا بذلك لقرب المسافة بينها وبين البراهمة ، فقد ولدت « الحركة الجينية » منها وتزعّمها « مهاويرا » ، وهي حركة تجد جذورها ومبرّرات وجودها في الواقع الهندي العام. وقد أسّست على الخوف من تكرار المولد والهرب من الحياة ، قائمة على الزّهد والرياضة الشاقّة والمراقبات المتعبة ، وطريقها الرّهبانية – لكن غير رهبانية البرهمية ـ بإفناء الميول والعواطف.

والجينية أو الجانتسيّة هي مذهب أخلاقي قائم على احترام الحياة لاعتبارها كلّها مقدّسة ، فهي حركة إصلاحية تحرُّرية كالبوذية ، وقد تزعّمها « مهاويرا » في القرن السّادس قبل الميلاد (٥٩٩ ق م ـ ٥٢٧ ق م) ، توفّي والده وهو في الثامنة والعشرين من عمره ، فاستبدّ به الحزن ، فانقطع إلى التأمّل في الحياة والموت ، وانضمّ إلى جماعة الرّهبان الشحّاذين ، ونذر الصّمت مدّة اثني عشر عاما ، ومن ثم خرج إلى التبشير بعد أن تكوّنت لديه بعض الاستنتاجات الخاصّة به. جمع لديه بعض التلاميذ فكتبوا تعاليمه ومحاضراته في كتب صارت فيما بعد كتب الجينية المقدّسة. نادى باللاّعنف ، وعدم إيذاء الكائنات الحيّة ، كما دعا إلى النباتية في الطعام ، وعدم العمل في الزراعة ما دام حرث الأرض قد يؤدّي إلى إيذاء بعض

الحشرات ، وقهر العواطف ، والانتحار البطيء[١] .

العقائد :

ـ الإله : لا يعترفون بآلهة ؛ ولذلك سمّيت حركتهم بالحركة الإلحادية ، ويعترفون بوجود أرواح خالدة مستقلّة عن بعض يجري عليها التناسخ. إلاّ أنّ خُلق المسالمة دفعهم إلى الاعتراف بآلهة الهندوس وقرنوا به الجينات الأربعة والعشرين. وبرغم عدم إيمانهم بكائن أسمى في السماء ، ولا بحقيقة خلود العالم ، إلاّ أنّهم يحترمون كلّ الآلهة ويؤمنون بها ، كما يؤمنون بالحكماء وأنصاف الآلهة والشياطين والجن المعروفة في البرهمية. وإن كانت الآلهة تختلف عن البشر إلاّ أنّها غير قادرة على كلّ شيء ولا بالغة الفضيلة ، أي لهم سقطاتهم ومثالبهم.

ـ الكارما: هي كائن مادي يخالط الرّوح ويحيط بها ، ولا سبيل لتحرّر الرّوح منها إلاّ بشدّة التقشّف والحرمان من الملذّات.

ـ النجاة: ترمي إلى التخلّص من تكرار المولد ، ويكون ذلك بالتمسّك بالخير والابتعاد عن الشرّ ، ولا يصلها الإنسان إلاّ بعد أن يتجاوز متاعب الحياة البشرية ، بقتل عواطفه وشهواته.

ـ العريّ والانتحار: ويعني التخلّص من قانون الحياة ، وعلى كلّ ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عاريا ، ويتّخذ من الهواء والسماء كساء ، وللتدليل على أنّ الرّاهب لم يبق له اهتمام بهذا الجسد الفاني ، عليه أن يجيعه وينتف شعره ويعرّضه لظواهر الطبيعة القاسية حتّى الموت. وممّا يلاحظ :

---

(١) حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، دار الجيل ، بيروت ، طبعة ١ / ١٩٩٨ ، ص ٧٥ (بتصرّف) .

أوّلا : إن وجد تقاربا بين البوذية والجينية ، إلاّ أنّهما تختلفان في الهدف ، ففي حين تسعى البوذية للخلاص الجماعي ، تسعى الجينية إلى خلاص الفرد.

ثانيا : تتّفق الجينية مع الإسلام في جزء يسير يتعلّق بروح الإنسان ، وهو استقلال كلّ روح عمّا سواها ، وخضوعها للثواب أو العقاب عمّا يرتكبه صاحبها ، ثمّ يختلف الإسلام مع الجينية في طريقة الثواب والعقاب.

ـ الجنّة والنّار بحسب « مهاويرا » في الأعماق تحت سطح الأرض ، جحيما من سبع طباق ، كلّ طابق منها دون الآخر وأشدّ هولا ، وكلّما كانت الرّوح أشدّ شرا وجدت نفسها ملقاة في أسفل درك في الجحيم ، ويقوم على تعذيب الأرواح الشريرة أدنى الآلهة ، في حجرات تعرف بغرف الرّعب. ويقسّم الجحيم إلى طبقات:

ـ الجحيم الأعلى يسمى الجوهرة .

ـ الثّاني يسمّى السكر .

ـ الثّالث يسمّى الرمل .

ـ الرّابع هو الطين .

ـ الخامس الدخان .

ـ السادس الظلام .

ـ السابع هو الظلام الأعظم .

وتقسّم آلهة الرّعب التي تعيش في الجحيم لتعذيب المذنبين خمسة عشر نوعا:

ـ **الأوّل** : ويسمّى « أمبا » وهمّته تحطيم أعصاب ضحاياهم .

ـ **الثّاني** : « أسباراسا » مهمّته سلخ لحم الضحايا عن العظام .

ـ **الثّالث** : « الساما » مهمّته الضّرب .

ـ **الرّابع** : « السابلا » مهمّته تمزيق اللّحم وتقطيعه .

ـ **الخامس** : « الرودرا » مهمّته التعذيب بواسطة الرّماح .

ـ **السّادس** : « الماهادورار » لفرم اللّحم .

ـ **السّابع** : « الكالا » مهمّته شيّ الضحايا .

ـ **الثامن** : « الماها كالا » لتمزيقهم بالكلاليب .

ـ **التّاسع** : « الأنبالا » هم حملة السيوف ليقوموا بتقطيع الضحايا بسيوفهم .

ـ **العاشر** : « الدهانو » حملة السهام لاصطياد الضحايا بسهامهم .

ـ **الحادي عشر** : « الكومبها » يعذّبون المذنبين بمساحيق حامية .

ـ **الثاني عشر** : « الغالو » يغرسون الضحايا في الرّمال المحرقة .

ـ **الثّالث عشر** : « الفيتاراني » يقذفونهم بقوّة وسط الصخور .

ـ **الرّابع عشر** : « الكاراسفارا » ترغم الأرواح على الجلوس فوق الخوازيق .

ـ **الخامس عشر** : « الماهاجوث » تحبس المذنبين في الجحور المظلمة الرهيبة.

التعاليم :

تتشابه قصّة « مهاويرا » وقصّة حياة « بوذا » ، فقد كان كلاهما أميرا هندوكيا ، وكان كلاهما غاية في الشجاعة ، وكلاهما درس عقيدته بحماس ، وكلاهما تزوّج

وكان سعيدا في زواجه ، وكلاهما هجر بيته ليصبح راهبا متسوِّلاً ، وكلاهما وجد عدّة عيوب في تعاليم عقيدته ، وكلاهما عاد بعد عدّة أيّام من التفكير ليبشّر بتعاليم جديدة لشعبه الكبير ؛ لذلك نجد تشابها حدّ التماثل في الوصايا وكثير من المسالك التربوية لكليهما. وممّا أثر عن « مهاويرا » قوله :

ـ لا تقتل أيّ كائن حي أو تؤذه بالكلام أو التفكير أو العمل .

ـ لا تسرق .

ـ لا تكذب .

ـ لا تحيا حياة الفجور أو تخدّر نفسك .

ـ لا ترغب في شيء على الإطلاق .

مؤسّسو الجينية :

لا يُعتبر « مهاويرا » المؤسّس الفعلي للجينية ، بل هو خاتمة الفاتحين ؛ لذلك فإنّ الجينيين يؤمنون بأنّ هذه العقيدة أسّسها أربعة وعشرون « جينا » ، ظهروا على فترات من الزّمن ، ليبشّروا النّاس ويهدوهم إلى الخير. فكان أوّل الفاتحين هو الإله « أديناث » الذي ظهر قبل أكثر من بليون مليون سنة ، مقارنة بمهاويرا الذي توفي حوالي سنة ٤٨٠ قبل الميلاد . إلاّ أنّ حظّه من الشهرة كان أكثر من سابقيه الذين طوى الزّمن ذكراهم ؛ لذلك ارتبطت الجينية عمليا بشخصية مهاويرا دون غيره من المؤسّسين ، حتى قال فيه الرّهبان: « عندما علم مهاويرا ، لم يفهمه البشر وحدهم فحسب ، بل فهمته المخلوقات التي تزحف ، والطيور التي تطير ، وأرواح الخضر والأشجار ، فهمته كلّها لأنّه كان يُعلِّم عقيدة تقول إنّ لكلّ شيء

روحا ، وهي نعمة لجميع المخلوقات على وجه الأرض »[١].

تعاليم مها بير سوامي :

توفي مؤسّس الجينية سنة (٥٢٧ ق.م) على ما تروي كتب التاريخ ، وخلّف جملة من التعاليم التي تناقلها الأتباع مشافهة. إلاّ أنّنا لا نجد اتّفاقا حول مضامين تلك التعاليم وطرق وصولها إلى المؤرّخين المعاصرين ، ليس بين المحايدين فحسب ، بل حتى بين الجينيين أنفسهم. فالفرقة الدكمبرية ترى أنّ حفّاظ الجينيين كانوا يعلّمون النّاس « دواو شانك » من محفوظاتهم بعد وفاة المؤسّس. فقد كانت لهم حافظة قوية تساعد على حفظ جميع التعاليم ، ولكن بعد سبعة قرون انقرض الحفّاظ الكاملون ، ولم يبق إلا بعض العارفين بأصول الفلسفة يحفظ بعض الأجزاء. وعندما لاحظ « كند كندسوامي » هذا الضعف ، توجّه إلى ترتيب ما بقي في الحافظة ، فدوّن بعضا ممّا حفظته الذاكرة ، ثم تلاه تلميذه « أوماسوامي » فصنّف كتاباً نال مرتبة التوراة والإنجيل ، عرف إلى يومنا هذا باسم « تتورات سوتر Tatuarth Sutra » ، ويعتبر المصدر الوحيد لتعاليم « جين دهرم » . أما رواية الفرقة السونبامبرية ، فهي بحسب مصنف كتاب « جين مت سار » : « أنّ ديو آردي جمع خمسمائة من علماء الجينيين في بلده « بلبهي » سنة ٤٥٣ للميلاد ، أي بعد عشرة قرون تقريباً من موت المؤسّس الأوّل للجينية ، وأمرهم أن يرتبوا ما بقي من حافظتهم في كتاب .

فرق الجينية :

افترقت الجينية إلى فرقتين كبيرتين هما الدكمبرية والسوبنامبرية. ثم انقسمت كل منهما قسمين : قسم يعبد الأصنام ، وقسم يحرمها. فالقسم الذي يحرّم عبادة

---

(١) سليمان مظهر: قصّة الديانات ، ص ١٤٣ وما بعدها (بتصرّف) .

الأصنام من الدكمبرية يسمى « تارن بنتهي Taran Panthi » ومن السونبامبرية يسمى « داس Das » . وبرغم انتماء الفرقتين إلى نفس المذهب الفلسفي ، إلاّ أنّ بينهما اختلافات كبيرة تتجاوز الأربع وثمانين مسألة ، أغلبها قضايا فرعية جانبية. أما الاختلاف الأساسي فهو في ثلاث مسائل:

أ ـ ترى الفرقة الدكمبرية أنّ المعرفة الكاملة والنجاة الدائمة لا تحصل إلاّ بقطع الإنسان علاقته بالأعراض الدنيوية تماماً ، فيجتنب اللّباس وستر العورة. لأجل هذا فإنّ نسّاك هذه الفرقة يعيشون عراة ، ويكتفون بأشياء ثلاثة: شاشر (الكتاب المقدّس) ، ومراوح من ريش الطاووس لتكنيس الأرض وطهارتها ، وإبريق للاستنجاء. أمّا نسّاك الفرقة السونبامبرية فإنّهم لا ينقطعون عن الحوائج الضرورية؛ من اللّباس والفراش والعصا وغيرها. أمّا ما يُرى من الصور العارية في الكتب الدينية والمراكز الثقافية فهي راجعة إلى الفرقة الدكمبرية. كما أنّ نسّاك الفرقة السونبامبرية يرخون على وجوههم ثوباً عند السفر والكلام ، في حين يجتنب نسّاك الفرقة الدكمبرية الثياب كليا ، كما يأكلون مرة واحدة في اليوم والليلة ، ولا يستعملون الأواني بل يصنعون الطعام في أيديهم ثم يأكلون ، أمّا نسّاك الفرقة السونبامبرية فيأكلون مرتين في الأواني.

ب ـ تعتبر الفرقة السونبامبرية أن المرأة تحصّل النجاة في قالبها النسائي ، بينما ترى الفرقة الدكمبرية أن المرأة لا تحصل النجاة ؛ لأن في إبطها جرثومة صغيرة تموت بحركتها ، فتلزم عليها ولادتها بقالب الرجل في الحياة الأخرى ؛ وكذلك لأنها تتنجس في كل شهر بحيض فلا تقدر على المراقبة التامة ، كما أنّها لا تقدر على التخلص من اللباس كلياً.

جـ ـ أنّ العارف الكامل بحسب الفرقة الدكمبرية لا يلحقه الجوع والعطش والمرض في حياته الدنيوية بصورته الإنسانية ، خلافاً للفرقة السونبامبرية.

طبقات الرجال :

يقسّم الجينيون رجالهم إلى خمس طبقات:

الطبقة الأولى : أرهت: الأرواح الناجية في الأجسام التي حصل لها علم كامل ومعرفة تامة فوصلت إلى درجة المعبود في الحياة الدنيا ، وهم أربع وعشرون « تيرشنكر» قبل الموت: « شبو ديوجي ، اجت نات جي ، شبوانات جي ، نفدن جي ، سمت نات جي ، يدم جي ، سياثيوجي جندرجي ، سبدي نات جي ، شنيل نات جي ، شريانسي ، شرى اسوويوجي ، شري بمل ناشاجي ، آره ناتجي ، ملى نات جي ، مني سوامي ، اننت نات جي ، شرى دهرم نات جي ، شانتى نات جي ، كنت نات جي ، نمى نات جي ، نسيم نات جي ، بارش نات جي ، شرى مها بيرسوامي جي » . هؤلاء كلهم في فترة واحدة من الزمان وبين كل اثنين ملايين السنوات. فإذا انتهت هذه الفترة تبدأ فترة ثانية وهكذا تعيد الدنيا فتراتها مرة بعد مرة.

الطبقة الثانية : سدها : الأرواح التي نجت من تكرار المولد في الدنيا ووصلت إلى مقام النجاة ، هم أربع وعشرون « تيرشنكر » بعد الموت.

الطبقة الثالثة : آجاريه: رئيس الرهبان.

الطبقة الرابعة : أبا دهياء: الرهبان المرشدون.

الطبقة الخامسة : سادهو: الرهبان والنساك.

الديانة الكنفوشيوسية

الكونفشيوسية أو الكونفوشية: هي مجموعة من المعتقدات والمبادئ في الفلسفة الصينية، طُورت عن طريق تعاليم كونفشيوس وأتباعه، تتمحور في مجملها حول الأخلاق والآداب، في طريقة إدارة الحكم والعلاقات الاجتماعية. وقد أثرت المبادئ التي صاغها كونفشيوس في منهج حياة الصينيين، فحددت لهم أنماط الحياة وسُلم القِيم الاجتماعية، كما وفرت المبادئ الأساسية التي قامت عليها النظريات والمؤسسات السياسية في الصين لاحقا. وانطلاقا من الصين انتشرت هذه المدرسة إلى كوريا ثم اليابان وفيتنام. وبمرور الزّمن أصبحت هذه الفلسفة المستحدثة ركيزة ثابتة في ثقافة شعوب شرق آسيا.

والكنفشيوسية مذهب إصلاحي تربوي، حيث وجد كنفوشيوس قومه غارقين في الأوهام، وعاكفين على التفكير في عالم الأرواح، والتأمّل في ذات الإله، مضيّعين الوقت في البحث عن صفات الملائكة، وطبيعة الحساب بعد الموت، يقدّمون القرابين، وإقامة الشعائر الدينية لإرضاء أرواح أسلافهم، فانصرفوا بذلك عن الحياة العامّة تماما، ممّا انعكس سلبا على الحياة في الصّين، فأصبحت أشبه ما تكون أشباحا بلا روح تسيّرها أو تدفعها. فخرج كنفوشيوس على قومه بمنهج أخلاقي إصلاحي يحدّد حقوق الفرد وواجباته وموقعه داخل المجتمع، مفرّقا بين العبادة والعمل. ويقوم منهجه الإصلاحي على ثلاثة أسس:

ـ بيان الأصل الخلقي الذي تقوم عليه الفضائل.

- إصلاح المجتمع وحمله على السلوك القويم.

- إصلاح نظام الحكم وتقييده بالفضيلة والاستقامة.

وقد حظيَ كونفشيوس بمكانة رفيعة لدى أهل العلم في الصين ، فكانوا يطلقون عليه لقب المعلِم والحكيم. إلا أن هذا التقدير والتبجيل لم يرفعه إلى درجة التأليه ، كما ذهب إلى ذلك بعض المنشغلين بالتاريخي الديني في الغرب. وهو خطأ في أساسه مبرّر نظرا لملازمة مفهوم عبادة الأسلاف للديانة الصينية. بل بسبب تجرّد هذه الفلسفة عن البعد الديني ، فقد فشلت كلّ المحاولات التي حاولت أن تجعل منها دينا. فلم تكن المعابد التي شُيدت على شرف كونفشيوس أماكن لتجميع طوائفَ من الأتباع المنتظِمين ، ولكن مبانٍ عمومية مخصصة لمراسيم سنوية وبالأخص يوم عيد ميلاد كونفيشيوس.

المصادر الفكرية للكونفشيوسية :

دوِّنت مبادئ وتعاليم الكونفشيوسية في تسع من الكتابات الصينية القديمية ، وهو ما تمّ توارثه عن المعلّم كونفشيوس وأتباعه. وقد دوّنت كتابة في فترة حكم سلالة « تشو ». وهي ميزة تلك الفترة التاريخية التي عرفت نشاطا مكثفا للمدارس الفلسفية والإصلاحية. ويمكن تقسيم هذه الكتابت إلى قسمين رئيسين: الكتابات الخمس التقليدية « ووجينغ » والكتابات الأربع « سيشو » . وقد تم تناقل تلك التعاليم مشافهة ، وفي وقت لا حق دوّنت في كتاب عرف تحت اسم « لون يو » . ولربّما تعتبر حالة الفراغ السياسي ، والتحولات الاجتماعية التي تلت انحلال مملكة « تشو » وانتهت بها إلى ممالك إقطاعية متحاربة ، سببا دفع

كونفشيوس ومفكرين آخرين ، إلى إيجاد أنجع الحلول لاسترجاع وحدة المملكة. وتتمحور الفكرة العامّة للأخلاقيات الكنفشيوسية حول:

أ ـ مضمون مصطلح « لي » ، والذي يرتبط جوهره أساسا بالموسيقى الصينية. فقد أقر « كونفشيوس » بأهمية الموسيقى وتفوّقها ، عند ارتباطها بوظيفتها الروحانية وما لها من سلطان على أفئدة الناس ؛ لذلك كان المعلّم كونفشيوس يحبّذ القصائد الموسيقية الصينية القديمة ، ذات القيم والأبعاد الحضارية. فهو يرى أن الدولة التي تمتلك موسيقى وشعائر خاصة بها ، يمكن أن تنتج مواطنين سعداء ويتمتعون بقدر كاف من الفضيلة ، يجعل الدولة في غنى عن تشريع قوانين تظمن حسن انضباطهم .

ب ـ قيمة مصطلح « رن » ، والذي يعني « إنسانية » أو « طِيبَةُ القَلْب ». والمقصود بذلك الفضيلة السامية التي تمثل أفضل ما في النفس البشرية بلا استثناء ولا تمييز ، إذ طالما اقترن هذا المضمون برجال الطبقة الحاكمة ، ثم اختزل في طبقة « النبلاء » . ويرتبط البعد الإنساني عند كونفشيوس بمفاهيم أخرى ، مثل مصطلح « تشونغ » والذي يعني الإخلاص تجاه الذات وتجاه الآخرين ، ومصطلح « شياو » والذي يعني « الإيثار » ، بإيثار الغير على النفس ، تبعا للقاعدة الأخلاقية الذهبية التي وضعها كونفشيوس « لا تفعل بالآخرين ما لا تحب أن يفعله الآخرون بك » ، وكذلك مصطلح « جونتسه » والذي يعني الرجل الشريف في فضائله. وممّا أثر عنه ، قوله:

ـ لا بدّ من المعرفة التي تقوم على اليقين والمشاهدة بدلا من الظنّ والوهم .

ـ واجب الولد البرّ بوالديه إذا كان داخل المنزل ، والصدق في أقواله والرّحمة بالنّاس في كلّ أفعاله.

ـ إنّ السياسي ليس من يحكم بالعدل والإنصاف فقط ، بل من يستطيع أن يهذّب الرعية حتّى لا يطول الظّلم .

*****

opeikandl.com

الديانات القديمة

الديانة المصرية القديمة :

كانت تميل عقائدهم نحو التوحيد ، وهي من آثار دعوة التوحيد التي دعا إليها نبيّ الله إدريس ــ عليه السّلام . فعرفوا أنّ الله واحد ، وصاروا على ذلك يمجّدونه في أناشيدهم الواردة في كتب قدماء المصريّين « يا مولاي ويا سيّدي إنّك خلقتني وصوّرتني ، وجعلت لي عينا أبصر بها آثار قدرتك ، وآذانا أسمع بها أناشيد تقديسك» . وبنفس الطريقة التي انحدرت بها البرهمية بسبب فساد الكهنة ، انحرف كذلك الكهنة المصريون واتّخذوا من صفات الله ثالوثا ، وكما اتّخذ البراهما الثّالوث « برهما وفيشنو وسيفا » اتّخذ المصريون من صفات الله « الوجود والحكمة والحياة » الثّالوث « آتون ورع وآمون » . ومع مرّ الأيّام صار الثّالوث تاسوعا ، غير آلهة ثانوية منسوبة إلى هذا التّاسوع. ثمّ تواصل الانحراف حتّى وصل إلى عبادة النّار والنجوم والكواكب. وبذلك صارت الديانة المصرية من عبادة إله واحد إلى التعدّد ، حتّى بلغ عدد الآلهة ما يقرب من المائة[1].

الديانة الكلدانية :

تعتبر الديانة الكلدانية ديانة مستوردة من دول الجوار ، حيث كان الكلدانيون حلقة الاتّصال بين مصر والفرس وفينيقيا واليونان ، وقد أخذوا من المصريّين عبادة الشّمس وسائر النجوم. ويعتبر الكلدانيون أساس الوثنية الحقيقيّة في

(١) محمّد فؤاد الهاشمي: الأديان في كفّة الميزان ـ ص ٢١.

الشّرق ، وقد برعوا في علم الفلك والسّحر والشعوذة ، وجعلوا لكلّ واحد من الكواكب السيّارة صنما ، وأكبر الأصنام الذي كان يرمز للشمس. ومن آلهتهم:

ـ بعل أو آمون: إله الشّمس.

ـ عشتروت أو إيزيس: إله الجمال.

ـ هوروس أو تموز: إله الخصب والنماء ، وهي التي حطّمها سيّدنا إبراهيم ـ عليه السّلام .

الديانة الفارسيّة المجوسيّة :

عبد الفرس أوّلا الطبيعة وخاصّة الشمس ، ثمّ تطوّرت عبادتهم إلى عبادة إلهين: أحدهما يسمّى « مزدا » أو « أهور مزدا » ، وهو إله الخير العالم بكلّ شيء ، والثّاني يسمّى « أهريمان » وهو إله الشرّ. ثمّ تطوّرت العبادة إلى مجوسيّة صرفة.

الديانة الرومانية واليونانية :

يؤمن اليونان أنّ لهم آلهتهم يأكلون ويشربون ويلعبون ويلهون ، ويخوضون المعارك فيَغلبون ويُغلبون ، ويتألّمون ويفرحون ، فخلعوا عليهم كلّ صفات البشر. وقد انتقلت الديانة اليونانية إلى الرّومان. إلاّ أنّ مدارس الديانة الرّومانية بنيت على الأخلاق ، فلم تعرف بذلك إلها معيّنا ، ولم تعترف بوجود إله أو آلهة ، إنّما كان جلّ همّهم أن يلقّنوا أبناءهم الأخلاق والفضائل منذ نعومة أظافرهم[1].

*****

(١) نفس المصدر السّابق : ص ٢٧ وما بعدها (بتصرّف) .